ذيل

كتاب تجارب الأمم

للوزير أبي شجاع محمد بن الحسين الملقب

﴿ ظهير الدين الروذراوري من سنة ٣٦٩ الى ٣٨٩ ﴾

﴿ وتليه قطعة من تاريخ هلال الصابي الكاتب الى سنة ٣٩٣ ﴾

مع نخب من تواريخ شتى تتعلق بالامور المذكورة فيه

وقد اعتنى بنسخه والتصحيح هوف آمدروز

الجزء الثالث

﴿ يحتوي على حوادث (٢٥) سنة من ٣٦٩ الى ٣٩٣ هجرية ﴾

الناشر
دار الكتاب الإسلامي
القاهرة

﴿ ترجمة المؤلف عن تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي ﴾

قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٤٨٨ : محمد بن الحسين بن عبد الله بن ابراهيم الوزير ظهير الدين أبو شجاع الروذراورى وزر للمقتدى بالله بعد عزل عميد الدولة منصور بن جهير سنة ٧٦ وصرف سنة ٨٤ وأعيد ابن جهير ولما عزل قال

تولاها وليس له عدو وفارقها وليس له صديق

ثم انه حج وجاور بالمدينة الى ان مات بها كهلا وكان دينا عالما من محاسن الوزراء قال العماد الكاتب : لم يكن في الوزراء من يحفظ أمر الدين والشرع مثله وكان عصره أحسن العصور رحمه الله . وقال صاحب المرآة : ولما ولى وزارة المقتدى كان سليما من الطمع في المال لانه كان يملك حينئذ ستمائة ألف دينار فانفقها في الخيرات والصدقات قال أبو جعفر الخرقى : كنت أنا واحداً من عشرة نتولى اخراج صدقاته فحسبت ما خرج على يدى فكان مائة الف دينار وكان يبيع الخطوط الحسنة ويتصدق بها ويقول : أنا أحب الاشياء الىّ الدينار والخط الحسن فانا أتصدق بمحبوبى لله . وجاءته قصة بان امرأة وأربعة أيتام عرايا فبعث من يكسوهم وقال : والله لا ألبس ثيابي حتى ترجع . وتعرى فعاد الغلام وهو يرعد من البرد . وكان قد ترك الاحتجاب ويكلم المرأة والصبي ويحضر مجالسة الفقهاء والعوام لا يمنع أحدا . وأسقطت المكوس فى أيامه وألبس الذمة الغيار ومحاسنه كثيرة وصدقاته غزيرة وتواضعه أمر عجيب فرحمه الله تعالى

ووردت ترجمة أبى شجاع الروذراورى فى وفيات الاعيان لابن خلكان ٢ : ٩١ وفيها انه عمل ذيلا على كتاب تجارب الامم

مقدمة المؤلف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم (٢) ﴾

(وبه نثق)

أما بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه أهل الحمد والثناء . المفرد بالوحدانية والبقاء الذى لا يحيط به مكان . ولا يغيره زمان . لا اله الا هو مبدع المكان وموجده . ومحدث الزمان ومنفده . خالق الخلق أطواراً . وجاعل الظلمة والضياء ليلا ونهاراً . كتب على الخلائق تقلب الاحوال لانه لا يحول . وقضي على الازمنة حكم الزوال لانه

لا يزول . والصلاة على رسوله محمد الذى بعثه بالرسالة . وهدى به من الضلالة . وأنقذ بمعرفته من الجهالة . ودل على نبوته بافضل الدلالة . واختاره من أشرف البلاد وطنا وداراً . واصطفاه من أكرم العباد حسبا ونجارا . حيث المشعر الحرام والمعشر الكرام . وجعله آخر الانبياء بعثا في الدنيا الى العباد . وأولهم بعثا الى المعاد . وجعلنا من أمته الذين جعلهم أمة وسطا . وأبان لهم من الاسلام منهجا جددا . ووفقهم فى الدين فتحروا رشدا . فقولهم سديد . وفعلهم رشيد . وهم شهداء على الناس والرسول عليهم شهيد . وعلى آله الذين سبقوا الى مصاحبته وسعدوا بمرافقته .(٣) وشرفوا بمتابعته في هجرته . وكرموا بايوائه ونصرته . فهم معالم الهدي . ومصابيح الدجا . كدراري النجوم تهدي السارى بنورها . وتعمي الغاوي من فتنة الدنيا وغرورها .

والدعاء لخليفته الامام المقتدى بامر الله أمير المؤمنين صاحب العصر المؤيد بالنصر المختار من شجرة طيبة الشرف والعلاء . أصلها ثابت وفرعها فى السماء . شربت من ماء النبوة الطاهرة عيدانها . وتفرعت بالخلافة الظاهرة أفنانها . كما قال جده العباس لبعض أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين : كان رسول الله دوحة نحن أغصانها . وأنتم جيرانها . وهو المنصب العظيم . من المحتد الصميم . والبيت الكريم . الذى أول درجاته النبوة والكرامة . وثانيهما الخلافة والامامة . ولا ثالث لهما بعد ذلك الى القيامة . توارثها امام عن امام . وقام بها أمير المؤمنين المقتدى بامر الله خير قيام .

ان الذى رفع السماء بنى لهم بيتا دعائمه أعز وأطول(١)

شد الله عضده بذخر الدين . وولى عهده فى المسلمين . وباخوته الغر الميامين . وجعلها كلمة باقية في عقبه الى يوم الدين .(٤) وأيد دولته بجلالها الذاب عن حماها . المناضل عن علاها . جمال الملة مغيث الامة معز الدنيا والدين يمين أمير المؤمنين الملك العادل المحبب الى القلوب . والركن الشديد المعد لدفع الخطوب . ودبر ملكه بنظامه المبارك . فوأيامه . قوام الدين رضى أمير المؤمنين الوزير الظهير . الموفق بحسن التدبير .

وبعد أداء الفروض المقدمة الواجبة . والسنن المؤكدة الراتبة . وقضاء حقوقها المستثبتة الازلية وسلوك طرقها المستقيمة اللاحبة . فان أولى ماصنفه المفيد . وعني بقراءته المستفيد . جمع أخبار الامم الخالية . وحفظ تواريخ الازمان الماضية . لانها أوفي المصنفات فائدة وأكثرها عائدة . وأحسنها أثرا . وأطيبها ثمرا . اذ كان أنفع العلوم ما أدت مقاصده الى

(١) بيت الفرزدق ولراجع كتاب الاغانى ٧ : ٥٦

من العمر الطويل . ما يحصل فيه على تجربة الدقيق والجليل . وقيل : العمر قصير والعلم كثير [١] فخذوا من كل شيء أحسنه

فاذا تأمل المرء سيرة الماضين من الاقوام . جنى مع تقارب الشهور والايام . ثمرة ما غرسوه على تطاول الدهور والاعوام . وعلم علل الاحوال وفوائدها . وحيل الرجال ومكايدها . وعرف مبادىء الامور ومصائرها . وقاس عليها أشباهها ونظائرها . وعمل بأنفع ما حبي به من الفهم والعلم . وانتفع بأصوب ما عمل به في الحرب والسلم . وأقدم على المواطن التي يرتجى فى أمثالها الظفر . وأحجم عن الاماكن التى يتوقي فى أشكالها الحذر . وتسلى بمن تدرع الجلد عند حدوث النوائب . وتأسى بمن توقع الفرج حين ظهور العجائب . وذكر مصير العاقبة اذ ارخت يد الغفلة عنان أشره . ونظر بالبصيرة الثاقبة اذ غطى غرور الدنيا على بصره .

فهذان القسمان يجمعان الدين والدنيا . ويبلغان بصاحبهما الدرجة العليا . فاما مافي ذلك من حسن المفاوضة والمذاكرة . وأنس المحادثة والمسامرة . فقد [٨] خففت القول فيه لانه يصغر في جنب ماقدمت ذكره من القسمين العظيمين . والامرين الجسيمين . كما قال النبي صلعم : كل الصيد فى جوف الفراء [٢]

وانني تأملت كتاب نجارب الامم . وعواقب الهمم . الذى صنفه (أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه) فوجدت فوائده غزيره . ومنافعه كثيرة . وعلمه جما . وبحره خضما . فراقنى تأليفه . وأعجبنى تصنيفه . فرحم الله مصنفه وأجزل فى الآخرة أجره . كما طيب في الدنيا ذكره . فلقد اختار فاحسن الاختيار . ومخض فأتى بزبد الاخبار . وسلك سبيلا وسطا بين التطويل والاختصار . ثم لم يقنع بذلك حتى قرب مسالك الطرق البعيدة . وبرز من أثناء الاختيار ذكر الاراء السديدة . ونبه فيها على مقامات حميدة . وبين ما جرى في كل وقت من خدعة ومكيدة . لئلا يبعد من يد المتناول قطف الثمرة اليانعة . ولا يطول على فكر المتأمل وجود الزبدة النافعة . وأحر به ذلك فان فضل له وان لم يدرك زمانه باقي النفع بادى الاثر . والروض ينبيء عن فضيلة الغيث وان ولى أوان المطر . فدعاني وقوف همتى عليه الى اقتفاء أثره . [٩] وسلوك ما سنه فى ورده وصدره . وصلا لسلك الذى بنا [٣] بنظامه . ونيابة عنه في تشييد ما بناه بعد انقضاء أيامه . وسنة لمن بعدنا يستن الآتي منها على سيرة الغابر . ويتصل بجيل الاول فيها حبل الآخر . لا تماطيا منا للمساجلة . ولا تماديا في المماثلة . لا مجاراة في المضمار . ولا

(١) هذا الرأى منسوب الى بقراط اليونانى (٢) ليراجع كتاب الميدانى (٣) لعله بدا

التوحيد . ووقفت موارده على تثبيت قدرة الخالق في نفوس العبيد . وفى تدبر اختلاف الليل والنهار . وتأمل مجارى الاقدار وتقلب الادوار . في توالى الامم وتعاقبها . وتداول الدول وتناوبها . قال الله تعالى : وتلك الايام نداولها بين الناس . اكبر دليل على وحدانية من ينبتهم ثم يحصدهم (٥) ويشقيهم ويسعدهم . وينشئهم ويبيدهم . ويعيدهم . ويحييهم ويميتهم وهو على جمعهم اذا يشاء قدير . تبارك اسمه وجل ثناؤه . وعظمت قدرته وكثرت آلاؤه . مرجع الخلق والامر اليه وبيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه له الحمد كله وبتوفيقه يتضح في الرشاد سبله فلا عبادة اذاً أرقى من التوحيد فموقعه من العبادات موقع الرأس من الجسد به اعتداله وبقاؤه . ومحله من الاعتقادات محل الروح من الجسم بها حياته ونماؤه . ولولم يكن علم القصص عظيما لما من الله تعالى به على نبيه عليه السلام فقال : نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين وقال سبحانه طسم تلك آيات الكتاب المبين . نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون وقال تعالي : كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً) ولو لم يكن في ذلك الا ما ينتفع به المعتبر من قلة الثقة بالدنيا الفانية . وكثرة الرغبة فى الآخرة الباقية . لكفى ما تنتجه هذه البصيرة من جميل الافعال . وتحث عليه هذه النتيجة من صالح (٦) الاعمال . فكيف وأولى مايعتمده أولو الامر وأصحاب الزمان . ومن بايديهم مقاليد الملك والسلطان . وأوجب ما يتشاغل به من اليهم أزمة الامور . وعليهم سياسة الجمهور . ادمان النظر في كتب التاريخ واحسان التتبع للاخبار . والآثار والتفكر في حال من مضي من الاخيار والاشرار . ليعلموا مابقى للمحسن من الصيت الحميد الذى صار له حياة مخلدة وبالاجر (١) الذى اكتسبه . وللمسيء من الذكر القبيح الذى جعل صحيفته مسودة بالوزر الذى احتقبه . ويتصفحوا حال الحازم فى حزمه وعقله . والمضيع فى تفريطه وجهله . فيسلكوا من الطرائق أوضحها وأمثلها . ويتقبلوا من الخلائق أشرفها وأفضلها . ويردوا من المشارب أصفاها وأعذبها . ويرعوا من المراتع امرأها وأخصبها . ويأخذوا من الامور بأحزمها . ومن التجارب بأحكمها . فمهما يكن من حسنة اقتبسوا منها . ومهما يكن من سيئة ارتدعوا عنها . فالسعيد من انتفع بالادب فيما دأب غيره فيه من التجارب . والرابح من حظى بالراحة فيما تعب به سواه من المطالب . لان العقل غريزة في الانسان . والتجارب مكتسبة في الزمان . والرأى (٧) لقاح العقل والتجربة نتاجه . والخير مقصد الحجي والاجتهاد منهاجه . ومن أبن للانسان

(١) لعله ومن الاجر

المنابر باسمه حتى كادت تعود الايراق . ثم كلاه في الفتنة الحادثة أحسن كلاءة بين أعاديه . وألحفه جناحا من الحياطة ستره بين قوادمه وخوافيه . فكانت قصته كقصة موسى عليه السلام حين القى صغيرا فى اليم . ونجا كبيرا من النعم . وأعاد القائم بأمر الله رضوان الله عليه الي مقر ساطانه . وفسح فى مدته وبارك في زمانه . لاتمام عهده . وانجاز وعده حتى يسلم الامر منه على حين السن المستحفة لتسلم أسبابه . وتقمص جلبابه . فكان ذخيرة الدين خلفا لنجله . وكان القائم بامر الله عاد في تلك البنوة لاجله . فاستحق بنفسه وارثه شرف الخلافة العظيمة . وحوى فى شرخ الشبيبة جميع محاسن الاخلاق الكريمة وارتقي من المجد ما لاتبلغ الاوهام ذروته . (١٢) واجتني من الحلم ما لا تحمل الايام حبوته . وساس الامور بهمة علية . وسيرة رضية . وخلافة جاءت كالنصر من السماء . ولم يكن مثل ذلك لاستاله من الخلفاء وكانما عناه أبو العتاهية بقوله

أتته الخلافة منقادة اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره لزلزلت الارض زلزالها

فما خلا متقلد للخلافة في عصر ممن ينازع فى ردائها ويجاذب على عنانها . ويترشح لحلها ويتطاول لمكانها . الى أن يستقر الرأي في قراره . ويجتمع الامر من أقطاره . الا امام عصرنا المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين فانه تفرد فى عصره بهذا الاستحقاق . واجتمعت الكلمة عليه لوقتها بالاصطلاح والاتفاق . فلم يخطر منازعته بخلد ولا بال . ولو كان الزمان ذا لسان لقال «هذا صاحبي بلا مراء ولاجدال» لاجرم أن سعادته مخصوصة بأوفى كمال . محروسة باذن الله تعالى عن نقصان وزوال . ودولته محوطة بأكرم ظهير وموال .

وأنى يكون للدول الاولى مثل جلال الدولة بن عضد الدولة الهمام ابن الهمام الملك (١٣) عضد الدولة المعظم من الاخوال والاعمام . الحامي حوزة الاسلام . الملبي لدعوة الامام . الذى كرم طرفاه . وعظم شرفاه . ودانت لصولته الامم . وانكشفت بدولته الظلم . وجرت بنصرته الاقدار . وانفتحت على يديه الفتوح الكبار . أطول الملوك باعاً . وأحسنهم في الدين ذبا ودفاعاً . فهو تاج على جبين الايام الزاهرة المقتدية يزيد فى أنوارها . وركن الدولة القاهرة العباسية يدفع عن أقطارها . زاد على أنوشروان بفضله وبعدله . وأوفي على بهرام بباسه ونجدته . وفضل أردشير بتدبيره وسياسته . وساوى الاسكندر بملكه وبسطته . فالشرق والمغرب مذعنان لطاعته . والبدو والحاضر

مساواة فى الاختيار . ولا ماقاله زهير [١]

هو الجواد فان يلحق بشأوهما على تكاليفه فمثله لحقا

فهيهات كيف الطمع في اللحاق . وقد شأي المتقدم فى السباق . لا سيما وطرف الفصاحة تحتى كاب . وحد البلاغة في يدى ناب . فأين المصلى . من المجلى . وأين السكهام . من الحسام . وأين السنيح من المعلى . وأين العاطل من المحلى . أريها السها وتريني القمر ولكني أقول ما قاله في البيت الثانى

أو يسبقاه على ما كان من مهل فمثل ما قدما من صالح سبقا

هذا لعمري أقرب الى الصواب . وأليق بهذا الباب . فأحسنت القياس وسلمت قصبة السباق وأعطيت القوس باريها . وأنشدت الضالة باغيها . [١٠]

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة اذاً لشفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا بكاها فكان الفضل للمتقدم [٢]

ثم ان للتصنيف رجالا عنوا بامره وعاموا في بحره . وأنسوا بجمع شارده . وتفردوا بنظم فرائده . وصاروا بصدده . واستولوا على أمده . فهم لقسيه براة . والى غرضه رماة . وفي طرقه هداة . وقد ربيت في غير هذا الوكر . وسقيت من غير هذا الدر . وتحليت بغير هذه الصناعة فان قصرت عن بلوغ معانيه . فاحذوا العذر فى العجز وان وقع سهمى دون مراميه . فاعذر فالنزع [٣] في القوس لين فلمن سبقنا فضيلة الجمع والاستكثار . ولنا من بعدهم وسيلة الاختيار والاختصار . وكل مجتهد مصيب . وله من حسن الذكر نصيب

فسلمت الى من تقدمنا الفضل في زمانهم لمحاسن تلك العلوم المشهورة . ولو انهم أدركوا زماننا لسلموا الفضل الينا بمحاسن هذه الدولة المنصورة . دولة الامام المقتدي بامر الله أمير المؤمنين ذي الكرم والفخار . والحلم والوقار . والاخلاق الطاهرة . والافعال الباهرة . والكرامات العجيبة فى المنشأ والمولد . والدلالات الصحيحة في المغيب والمشهد . به أنقذ الله الرجاء من أسر اليأس [١١] وألقى عليه محبة قلوب من الناس . بعد ان فجعوا بذخيرة الدين (وليس للقائم رضوان الله عليهما عقيب سواه . ولا للبيت أحد يصلح للعهد فيولاه) فتقطعت النفوس حسرات . ورجعت الانفاس زفرات . وبكت الملة واستولت الوحشة والغمة فأتى الحمل الميمون به لتمام . وبدا وجهه المنير فجلا كل ظلام . وسارت « البشري » بذكره في سائر الآفاق . وزهت أعواد

(١) ليراجع قصيدته التى أولها بان الخليط أجد البين فانفرقا (٢) البيتان لعدى بن الرقاع (٣) لعله فاعذروا لنزع

منقادان لتباعته . كل ذلك ببركات مخالصته لامامه . وحسن نيته في محبة أيامه .

وأين كان لتدبير الاقاليم وزم أمورها . وحفظ المعابث وسد ثغورها . مثل نظام الملك قوام الدين الذى أعد للخطوب أقرانها . حين عجم بالتجربة عيدانها . وجمع رياسة السيف والقلم . لما كفل بسياسة الحرب والعجم . بقية في الدولة ميمونة . وضربة في النصيحة مأمونة . وحزم لا يشان بهفوة . وعزم لا يخان بنبوة . وخلق لا تجد فيه عنفا . ورأى لا (١٤) ترى فيه ضعفا . وهيبة مع طلعة بشر . وتواضع مع رفعة قدر . فاذا قيل له اتق الله سمع وأطاع . واذا خوف بالله خاف وارتاع . فافعاله أفعال العباد . وأخلاقه أخلاق الزهاد . مع انقياد الدنيا له في الاصدار والايراد . ونفاذ أمره على الرعايا والاجناد . وجمعه فى منهل العدل بين الظباء والآساد .

فاى دولة تباهى هذه الدولة القاهرة في مناقبها وماثرها . وأي أيام تضاهى هذه الايام الزاهرة في محاسنها ومفاخرها . وأى قول ينتهي الى حد وصفها وان امتد وطال . وأي بليغ يبلغ أمد فضلها وان أسهب وقال .

فأعود الان الي ذكر ما أنا قاصده من الاختيار . متبرئاً من عهدة ما أورده من الاخبار . لاني أتبع في كتاب التاريخ مسطورها . فاختار بحسب المعرفة عقودها وميسورها . وما عساه يندر من خبر شاذ تقف من أفواه الرجال . وخلا التاريخ من ذكره اما بخفاء أو نسيان أو اغفال . فانه يثبت في بواطنه . وينظم مع قرائنه . واذا انتهيت انشاء الله سبحانه الى أخبار زماننا اتسع المجال . وأمكن المقال . وعمدت حينئذ الى ما شاهدناه وخبرناه فاخبرت به على وجهه وذكرته مجتهدا في التحرى وبحسب الامكان الذى لا أقدر على سواه . (١٥) وبقدر الوسع الذي لا يكلف الله نفسا الا اياه .

وأول ما ابدأ به الان فى كتابي هو آخر ما ختم أبو على مسكويه رحمه الله به كتابه في سنة ٣٦٩ والله تعالى ولى حسن التوفيق . والهادي فى جميع المقاصد الى سواء الطريق . وبه أعوذ من الخطل . واعتصم من الزلل . واياه أسئل خاتمة جميلة . بالمغفرة كفيلة . انه غفور رحيم

﴿ انتهت المقدمة ﴾